كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة

المجلة العلميـة

متابعات نقدية

إعداد

أ.د/ رمضان حسانين جاد المولى

أستاذ الأدب والنقد

في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الثالث)

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

متابعات نقدية

رمضان حسانين جاد المولى ٠
أستاذ الأدب والنقد المتفرغ ، قسم الأدب والنقد ، كلية اللغة العربية بأسيوط ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية ٠
البريد الإلكتروني : abomahiar@yahoo.com

الملخص :
يهدف البحث إلى الكشف عن إبداعات ثلاثة من الشعراء المجيدين ، والكشف عن سمات شعرهم وهم : هلال زيان ، وحمزة الشريف ، وتامر المطيعي ، وذلك من خلال قراءة نقدية دقيقة لديوان شعري لكل واحد منهم تكشف عن الملامح الخاصة والسمات المميزة لكل ديوان من الدواوين الثلاثة ٠

الكلمات المفتاحية : المتابعات – الشعر الحر – العمودي – الطائر الأسير – الوطن والانتماء – النغم والإيقاع – الهم القومي – الهم الذاتي والوجداني ٠

Critical follow-up

Name: Ramadan Hassanein Jad Al-Mawla .

Emeritus Professor of Literature and Criticism, Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Assiut, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt .

Email: abomahiar@yahoo.com

Summary :

The research aims to reveal the creativity of three glorious poets, and reveal the features of their poetry, namely: Hilal Zayan, Hamza Al-Sharif, and Tamer Al-Muti'i, through an accurate critical reading of my poetry collection for each one of them, revealing the special features and distinctive features of each of the three collections.

Keywords: follow-ups - free poetry - vertical - captive bird - homeland and belonging - melody and rhythm - national concern - self-concern and sentimental .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تطالعنا في كل يوم أسماء عديدة في شتى مجالات الإبداع ، ولكن سرعان ما يتساقط معظمها في الطريق ، ويضيع بعضها في زحام الأيام ، لكن القليل من هذه الأسماء هي التي تحفر اسمها في ذاكرة التاريخ الإبداعي ، بما يتحقق لها من مواصلة واستمرارية ، ومن بين هذه القلة تبرز أسماء تمثل نقاطا مضيئة بما تحققه من قفزة إلى قمة الهرم الإبداعية متخطية لحظتها الآنية إلى خلود الإبداع .

ونتسائل ما الذي يجعل الأكثرية من هذه الأسماء تسقط من ذاكرة التاريخ الإبداعية، بينما القلة هي التي تواصل المسيرة ، ليتسنم ذروتها ، فرد أو أكثر ، يصبحون روادا وأعلاما في هذا الفن أو ذاك ؛ يشار إليهم بالبنان . ففي مجال الفن الشعري، وعلى مدى المسافة الزمنية الطويلة التي قطعها الإبداع الشعري العربي ، تفرض بعض الأسماء حضورها عند ذكر الشعر العربي ، فيقفز مباشرة إلى الذاكرة " امرؤ القيس ، النابغة ، المتنبي ، شوقي ، عبد الصبور ... إلخ " ، في الوقت الذي تحتاج فيه أسماء أخرى إلى معاودة الذاكرة ، وغيرها يحتاج إلى ذاكرة التراجم وفهارس الأعلام وكشافات الكتب ، وغيرها يسقط من ذاكرة التاريخ كلية ــ فما مرجع ذلك .

إن المبدع لكي تتحقق له الاستمرارية لابد أن تكون له خصوصيته ، التي تحقق له فردية بين مجموع يشتركون في " أداة تشكيل " "لغة واحدة" وقواعد فنية مشتركة كل منهم يستطيع أن يستخدمها إذا ما أوتي قدرا من الموهبة ، ثم تأتي الفروق الفردية التي أساسها تفاوت الموهبة ثم المحصلات المكتسبة من القراءة والثقافة ، إذ لابد أن يجمع المبدع إلى أصالة الموهبة ، نضج الثقافة ، ليعلن عن

نفسه مبدعا في هذا المجال أو ذاك ، فإذا أراد المبدع أن يحفر اسمه في ذاكرة المتلقين ؛ لابد من خصوصية تحقق له فردية وسط هذا المجموع ، وتتمثل في البحث عن أدوات التشكيل الخاصة به ، والتجربة المميزة له ، ثم الإيمان بالقضية التي هي لحن تجربته ، وكلما نضج وعي المبدع ، وعمقت قدرته على فهم الذات الخاصة به ، والالتحام بتجربته ، والبحث عن لغة التشكيل الخاصة به ، والغوص في محليته غير المتناظرة مع عطاءات الآخرين ، كلما استطاع أن يحفر اسمه في ذاكرة التاريخ .

وليكن في الحسبان أن الكم لا قيمة له في ميدان الفن ؛ وإنما المعول عليه البصمة الشخصية التي تميز إبداعه ، فأصالة الإبداع هي الحكم الأول والأخير ؛ ولذا نرى من الشعراء من ذاع صيته ، وطبقت شهرته الآفاق ، ومحصوله الإبداعي ديوان صغير؛ أو قصيدة واحدة خلدت اسمه في سجل النابهين .

قدمت ما سبق ــ بين يدي هذه المتابعات النقدية لإبداعات تشكلت في آواخر القرن الماضي ، وتفاوتت بين ديوان شعري لشاعر ناشئ موهوب اسمه / هلال زيان ، يمثل هذا الديوان باكورة أعماله المنشورة ــ لاحظت لدى الشاعر ــ وكما سيتضح من استعراضا لديونه ــ عناصر إبداعية جيدة وقدرة موفقة على تقديم رؤيته ، وموهبة طيبة ، تتيح له لو أحسن استغلالها أن يكتسب لنفسه استمرارية وتواصلا وحضورا على الساحة الشعرية .

أما المتابعة الثانية فهي قراءة في ديوان الشاعر السعودي / حمزة الشريف ــ وهو مخطوط بين يدي ، كلفت بتحكيمه من قبل نادي الباحة الأدبي قبل طباعته ــ وهو شاعر ثري التجربة ، يتمتع بموهبة شعرية حقيقية وملكة فطرية ، أعانته على الإمساك بزمام موسيقاه ، وجعلت تعبيراته تنسال انسيالا في طواعية المطبوع ، كما أن شعر الديوان يمتاز بوضوح الفكرة ، والديباجة

المشرق والبيان الناصع ، وتلك طاقة هائلة ، وميزة يفتقدها كثير من الشعراء ممن دعتهم دعاوي التغريب إلى الإسراف في الغموض ؛ ومن ثم الاستفلاق والإبهام على المتلقي .

اما المتابعة الثالثة ، فجاءت حول ديوان الشاعر تامر المطيعى (من وحى القلب) ــ رحمه الله ــ واحد من شيوخ الشعر فى أسيوط ، وقد صدر ديوانه في سلسلة مطبوعات فرع ثقافة أسيوط سنة ٢٠٠٨م في حوالى ستين صحيفة من القطع الصغير وضم سبعا وأربعين قصيدة شعرية ، وقد قدمت هذه الدراسة ضمن دراسة شملت عدد من مبدعي الإقليم ونشرت ضمن مطبوعات مؤتمر إقليم وسط وجنوب الصعيد الثقافي ، تحت عنوان (شعراء من الصعيد ؛ بين التعبير عن الذات وهموم الواقع) ؛ ولذا تراها الدراسة الوحيدة هنا الموثقة ؛ لأنها تصدت لديوان مطبوع خلافا للدراستين السابقتين التي كتبت في سياق إجازة النشر؛ فكانت أعمالها مخطوطة لم يتسن لي توثيقها .

إن الذي ذكرت آنفا ، إنما هو مدخل لحديثي عن هذه الأعمال الشعرية ، والدراسة تقدم هذه المتابعات التي تكشف عن الملامح الخاصة والسمات المميزة لهذه الدواوين ،

المتابعة الأولى

قراءة في شعر هلال زيان :

والشاعر : هلال زيان ، عرفته في بدايات العشرية الثامنة من القرن الماضي ، من أبناء مركز ساحل سليم وكان يعمل وقتها معلما في إحدى مدارس مديرية أسيوط التعليمية ؛ وكان وقتها شابا في مقتبل العمر ومجموعته الشعرية هي باكورة إنتاجه وكانت هذه الدراسة هي تقديم لديوانه لتكون مرشحة لنشره ، وقد انقطعت صلتي به بعدها كما انقطعت عني أخبار ديوانه وأنشطته الإبداعية إلى الآن .

والديوان يحوي قصائد كتبت على الشكل الخليلي ، وأخرى كتبت على شكل قصيدة التفعيلة "الشعر الحر " ــ ولا يدخل عادة في حسابي عند تقويم عمل شعري الشكل الموسيقي الذي اتخذه اللهم إلا من حيث علاقته بالتجربة ، ودور الإيقاع في تقديمها سواء أكتبت في القصيدة العمودية أم قصيدة التفعيلة ؛ لأن المهم مقدرة الشاعر على نقل التجربة في القالب الذي يراه موائما ومتوافقا مع تجربته، ويستطيع أن ينقل إلينا أحاسيسه ومشاعره وأفكاره ... إلخ .

لكنني في هذا الديوان سوف أفصل بين المجموعة التي كتبها الشاعر من الشعر العمودي والمجموعة التالية تلك التي كتبها في الشعر الحر ؛ وذلك لأن بين المجموعتين بونا شاسعا من حيث اكتمال أدوات الشاعر ، وقدرته على نقل تجربته ، واستخدام الصورة والدلالات والرموز وغيرها من الأدوات الفنية بين الشكلين الشعريين عنده .

ولعل ذلك راجع إلى أن المجموعة التي جاءت في الشكل العمودي مثلث محاولات مبكرة لإبداع الشاعر بحيث نفتقد في معظمها شخصيته الشاعر ؛ إضافة إلى بعض الاضطراب الناجم عن القلق الموسيقي أحيانا ، أو سوء استخدام

مفردات لغته ، وسوف نتخير نماذج من هذه الأشعار للتدليل على ما ذكرنا .

ففي قصيدته " وجاء النور " في ذكرى الرسول الكريم ﷺ . يقول :

وتفطرت نسمات مكة بالهدي وترنحت للنور والإيمان

وغير خاف ما بين الترنح وهو تمايل من سُكرٍ أو مرضٍ أو نحوهما .... والإيمان الذي هو تقى وثبات وقوة إلخ .

أيضا في القصيدة ذاتها يقول:

ليعيش في ظل العدالة شعبها عهدا بناه الحب كالبنيان

وغير خاف اجتلاب لفظة البنيان للقافية فما الذي تضيفه بعد بنى الأولى وهو تكرار لا يخدم المعنى فوق ماأحدثه من قلق في النغم.

وقوله :

أم قد عشقت خزائنا مملوءة بالزيف من أكذوبة .....

ويضع كلمتين في مسودته يفاضل بينهما ليكمل بيته هما (التجار/الأسعار) ولا يستطيع أن يحدد كلمة منهما للمعنى الذي يريد .

وفي قصيدته " الطائر الأسير " تتكرر ذات المشكلة .

حين يقول :

فإذا بها قد مزقت وتناثرت أبدلتها نوحا وكانت ملحنا

قد كان لي بالأمس روض وظلال أيك كنت أملؤها.....

ويحار في ملء الفراغ ؛ فهل يقول " هنا " فيكرر كلمة سبقت في نفس الموضع قبل بيتين فيلحق قافيته (الإيطاء) أم ماذا يفعل ؟

ومع هذا فإن القصيدة نمط جيد من أنماط القصة الشعرية ، وإن كانت حكايتها مستهلكة وهي تطلع العصفور إلى الفكاك من أسر القفص وانطلاقه إلى رحابة الكون واتساعه .

غير أن الشاعر اختار لقصيدته طريقة "الفلاش باك" في استعادة ذكريات الحرية عند الطائر الحزين لتكون أبين في إظهار اللوعة على ضياعها ويقدم شكواها في صورة صمت عن الغناء حتى يفطن له فيفك أسره ويعود حرا طليقا .

ومع هذه الأخطاء التي ندت في ندرة في قصائده العمودية فلديه قصائد يرتفع مستواها الفني ــ كما سيأتي ذلك عند الدخول في فنيات العمل الشعري لدى الشاعر . ومنها قصيدته " عندما تغنى المنى " فهي تمثل مستوى مرتفعا في إبداع الشاعر؛ إذ تسلم القصيدة وتبرأ من الهنات السابقة ، وتمثل نفحة وجدانية في حوارية بين الحب والحياة خفف ارتفاع مستواها الفني من حدة الاستبطان الفلسفي ، وحفلت بعدد لا بأس به من الأبيات التي تسير مسير الأمثال والحكم من أمثال :

فقلت هو الطير يحيا سعيدا ... ويأبى مع النسر خفض الحياة
وأن الذي يرزق الطير ربي ... فكيف يعيش قليلا رجاه
غدا يفرغ الكأس مهما امتلا ... ومهما أفاض الطلا في لقاه
غدا يذبل الورد مهما سقي ... ومهما أذاع النسيم شذاه
غدا يقتل الليل نور الصباح ... ويلقى بأنواره في دجاه

وفي قصيدته " عودي إلي " نرى امتدادا للمآخذ السابقة ، فلا تستقيم عبارته لغويا في البيت الثالث الذي يقول فيه :

فأنا هنا وتر بلا نغم بلا ... أمل بلا صبح غريبا عاني

والاضطراب الموسيقي في قوله :

ومض الهوى فترنحت سكري وذا ... بت نشوة بتنهدي وحناني

فغير خاف تزحيفه عروضه الكامل بالإضمار مع أن القصيدة كل أعاريضها

صحيحة وعلى الرغم من أن الفقرة الثالثة حملت مجموعة من الصور الجزئية إلا أن الثانية تعوزه لاجتلاب كلمات تبدو قلقة في سياق الصور المرادة .

يقول :

وأراك نبعـــا هادئـــا مترقرقـــا يســـري بروحـــي ناعمـــا وبيـــاني

وأراك فجـــرا حالمـــا متوضـــأ بـــالنور والأشـــواق والأشـــجان

واراك صبحي لا وأمسي بل غدى وســـوانحي وخـــواطري وجنـــاني

وأراك موتي والحياة ومـــا شـــدا مـــن غنـــوتي بالقلـــب والأكـــوان

وفي قصيدته التي يهديها إلى " جولدنج[1] " يبدأ الشاعر بداية موفقة حـين يعرض لما حل بها في أسلوب ذكي معرضا بالمواقف المتخاذلة تجاه ذلك ؛ لكنـه يعود إلى التقريرية والمباشرة بصوت صادح وعالي فلعل العرض الســابق خلـق داخله الاستنفار ، لكن خروجه بتقريرية إلى هذا المستوى الحاد قفـز بالقصـيدة قفزة غير موفقة حولها إلى صراخ واستغاثات

يقول :

وأيـــن الـــذين بـــأرض الفرنجـــة دعـــوا الله جهـــرا وقـــد كبـــروا

فظلت لهـــا والمنـــى قـــد تجلـــى غـــدا ننشـــر الحـــق أو نثـــأر

وناديـــت يـــا أيهـــا المســـلمون أفيقـــوا فـــإن العـــدا زمجـــروا

ومن جملة هذه القوافي المجتلبة ما جاء في قصيدته " قدر من الأقدار" على

(١) الروائي البريطاني وليم جولدنج)(١٩ سبتمبر ١٩١١-١٩ يونيـو ١٩٩٣) هـو كاتـب بريطاني، حاصل على جائزة نوبل للآداب ، عام ١٩٨٣ عن رواية أمير الذباب ، له العديد من المؤلفات منها يوميات مصرية ؛ وهي قصة الرحلة النيلية التـي قـام بهـا الكاتـب البريطاني الشهير وليم جولدنج في ربوع مصر المجاورة للنيـل مسـتخدما مركبـا نيليـا متواضعا.

الرغم من ارتفاع مستواها الفني إلا أنها لم تسلم من عوز الشاعر وافتقاره إلى كلمات اجتبلها للقافية مع نفرتها وعدم مواءمتها لطبيعة الموضوع .

من ذلك قوله :

والحلم ما للحلم بين مواطني نبع ولا صوت مع الأسعار

وتمثل مجموعة قصيدة الشعر الحر مستوى متقدما فكرا وإبداعا.

ويبدو أن التخلص من أسر القصيدة العمودية ، سواء في تشكيل إنائها الموسيقي المفروض والذي قلل من إطلاق الشاعر لإمكانات إبداعاته ، أو في الصورة الموروثة للقصيدة مما جعل قصائده العمودية تدور في فلك الموضوعات والأفكار الموروثة التي يدين الشاعر فيها لموروثات الشعراء الوجدانيين .

وقد يطرح تساؤل آخر مفاده هل هروب الشاعر من قفص موروث القصيدة العمودية فكرا وإبداعا لم يوقعه في أسر تجارب مشتركة مع شعراء مدرسة الشعر الحر مؤخرا الإجابة في هذا السؤال ريثما نطلع على القصائد الأخرى لنحاول أن تستكشف أبعادها الفكرية ومقوماتها الفنية .

لعل أبرز ما يلفت النظر في هذه المجموعة هي مجموعة القصائد القصيرة التي تعد نقلة تحسب للشاعر ، من حيث قدرته على تكثيف تجربته ونقلها في أسطر شعرية قليلة وفي دينامية فاعلة متنامية ، وعادة ما يبدؤها بمدخل استفزازي يزيد من حدة التوتر في التجربة منذ البداية ، ويعمد إلى تكثيفها حين يستبطن التراث ويخرج رؤيته من خلاله في نسيج متلاحم يبين قدرة الشاعر على استيعاب هذا التراث ، واستكشاف أرضيته ليعرض من خلاله لوحاته الشعرية ، وقد وفق في ذلك توفيقا يحسب له ، وإن كانت القصيدة القصيرة (الومضة)الآن تشد عددا من المبدعين في شكل القصيدة الحديثة فإن الشاعر "هلال زيان " يستطيع أن يكون اسما معروفا في هذا اللون من الإبداع الشعري ؛ ففي مجموعة

قصائده القصيرة "صفحات من سجل العرب " ؛ يطرق العديد من القضايا العربية ، مثل التشتت العربي في قصيدته " بوح " أو القمع في قصيدته التي مطلعها " في كل بلاد العالم .." أو التطلعات الفردية التي تمثل نموذج الشموخ في "القارئ الذي كان" ؛ وفي القصيدتين الأخيرتين ، يفلح في توظيف التراث ، وتفجير ما فيه من طاقات إبداعية في وعي تام ، فيوظف في القصيدة الأولى المقولة التاريخية المشهورة لأسماء بنت أبى بكر الصديق لابنها عبد الله الزبير " إن الشاة لا يضيرها سلخها بعد ذبحها " فيحول هذا المثل الذي يمثل الشجاعة في أعلى صورها ، يحوله في عالمنا معادلا موضوعا للاستكانة ليكشف عن المفارقة السحيقة بين شموخ الماضي وتقاعس الحاضر ؛ بعد أن صار جلد الإنسان بديلا لجلد الحيوان في صناعة أحذية السجان ونعل السلطان ، ومع هذا لم يحرك ذلك في الإنسان العربي ساكنا فما الذي يضير بعد هذا الهوان .

" فتمدد باركك الله ، ونم مثل الحيوان .

إن أجري السلخ عليك السلطان

ما ضرك أن تسلخ يوما أنت المتدثر بالأكفان ...

وفي " الفارسي الذي كان " يوظف من القرآن الكريم موقف يوسف النبي " عليه السلام " مع امرأة العزيز التي تمثل الإغراء والانصراف بعيدا عن قضايا الوطن الحقيقية في مواجهة زيف العصر من سلطان ومال إلخ .. لكنه يصيره " يوسفا " آخر نموذجا للوقوف في وجه عوامل السقوط التي اجتذبت الكثيرين من دعاة الإصلاح وحاملي لواء القضايا فسال لعابهم خلف امرأة العزيز .

ويلتصق بالتراث ويحتمي بلغته وتعبيراته ، ويحولها بمقدرة لتعبر عما أراد.

" وقالت هيت لك ... وقدت قميصك ... وغلقت الباب خلفك" .

ويأتي بمطلع قصيدة كعب " وبانت سعاد " التي هي مجدولة مع امرأة العزيز ممثلة للفتنة والإغراءات المعاصرة غير أن فارسنا قد حصن جواده الجموح ، فما اهتز قلبه ، وما لانت قناته ، ويقدم في قصيدته "رسالة إلى عبلة" طرازا آخر حين يجعلها معادلا موضوعيا من وجهة نظره للوطن ــ فعبل التي " تباري الغواني عبر المفازات شوقا إليك " وكم قبلوا "راحتيك" وكم قد تغنوا ، وزفوا السلام عريسا إليك " لكن سرعان ما مشت الخطايا في أرضها البكر وأشمتت العدو والصديق .

وفي قصيدته " عيناك " تتحول الحبيبة الوطن أو الوطن الحبيبة إلى أدوات استكشاف عدستان مجهريتان يلتقط من خلالها صور الواقع ويعلنها دون احتماء بتراث أو ميل إلى رمز بل إن الأمر لم يعد يحتمل غير المكاشفة .

طالما أن " الروح يقتلها الصقيع
ومنازل العشاق تنزف كالشياه ــ
ومن ثم ينزع إلى المباشرة ،
" بغداد تبحث عن جواد لا يغر ولا يخون
لكن كيف وكل حكام المدائن خائنون مأمركون .
جعلوا بلاد العرب صيدا في شباك الغادرين
باعوا الشعوب ليشتروا ورقا يجدد عهدهم للغاصبين

ويستمر في تصعيد الموقف في تنويع متنام على صورة فقرات تختلف طولا وقصرا لكنها تشترك جميعها في الكشف المباشر بعيدا عن جو الإسقاط الذي استخدمه في بعض قصائده .

إني سأهتف معلنا غضبي
وأرفض أن أساق كما القطيع إلى الشمال أو الجنوب .
كي أنقذ الشعب النعاج من التطبع والرسوب .
قد صرت يا وطني الكبير من التخبط والهزائم ذيلا لأمريكا وصار الكل خادم .
لكن وعهد الله أقسم صادقا .
يا كل أهل الشعر عار أن تروا
من قال شعرا كي يجار الساقطين من البشر
أو من ينافق ظالما كي ما يمر من الخطر

وأعتقد أنه حين تعلو التقريرية والمباشرة ، يختفي الفن فليس الفن بوقا من أبواق الدعاية أو الإعلام ، وإنما يقول المبدع ما يشاء بشرط أن يحتفظ بالمستوى الفني الشعري التعبيري .

ولعل ذلك أثرا من آثار نغمة شعرية مالت إلى المجابهة والتقريرية ، على حد قصائد " نيزار " السياسية ، ولكن نمط الكتابة النذارية ، وإن مال إلى اللغة الحياة اليومية إلا أن لنزار طريقته في الصعود بها إلى عرش التعبير الفني ، فجاراه كثير من الشعراء دون أن يكون لهم القدرة نفسها . وشاعرنا لا نعدم تأثره بالجيل السابق ومنهم نيزار ، ولعل مقطوعة من هذه القصائد تبرز ذلك بشدة .

عيناك آخر قصتين لمن تحاصره الهزائم ،
فالقمع في الوطن المكدس بالنذور وبالقشور
وبالبخور ، وبالعساكر .
قد صار أفيونا على كل المحاور
قد صار مثل الشاي أو شرب السجائر

ولكن مع هذا فإن القصيدة تعدو من القصائد الجيدة للشاعر أحسن بناء العديد من الصور المكررة نسبيا من مثل .

وكنت إذا أولج الليل .. هالة نور

... ...

وانفك الصبح عند البكور

... ...

وكم قد تغنوا ، وزفوا السلام عريسا عليك

وبمناسبة الحديث عن الصور الشعرية أسوق في هذا المقام صورا من قصيدته " حين التقينا " التي يوظف فيها لحظة اللقاء المتعطش الذي كان يخنقه بما يحمله من الخوف والترقب ؛ وتلوح فيه ملامح الفراق غير أن حبه برغم ما يحوطه من مخاوف الفروق باق ، وبارقة أمل تلوح رغم الألم نقطف منها هذه الصور قوله :

وأتى المساء

تقاسمت أحلامنا الأهوال وانفجر البكاء

حاصرت ريح التضرب سنبلات العشق

جنح النور ، وانفرجت خيوط الليل تأكل

من فتات الفجر حبات النماء

وتستجم مع الندى جيف المخاوف

والخريف الحقد يصرخ في فراشات الربيع

ولعل اللوحة السابقة التي أفلح الشاعر في الإمساك بخيوط الصور فيها والمساء يخنق الضوء ، فيكشف عن قدرة الشاعر على إقامة العلاقات الجديدة بين ألفاظ من أودية مختلفة ، فيرسم بها لوحته التي تأتلف فيها هذه الألفاظ ،

وتمثل طاقة شعرية هائلة ينبغي التنوبه بقدرة الشاعر على اقتناصها وتصـــديرها وحسن رسمه لها وتلاعبه بالمفردات ليشكل منها لوحة معبرة . وإذا بكل الثـــوار تحولوا إلى جمادات مقيدة ، وجذوة من رماد فيركب الشاعر جواده ، عســـى أن يتحول إلى عنترة آخر فيعود منكسرا مهزوما .

إذ لبست من الخزي وجها يواري العذاب ... "

ومع هذا لازالت المحاولة لأن حبها أقوى من أن يسلم إلى التخاذل .

ولكن حبك هزّ الفؤاد

نهرت الجواد

عبث جوار المخازي

فواتى العذاب

وحين انتهيت ... سكبت على السطر

حر المداد

كتبت حروفك بالدم حرفا فحرفا

وتهت أغنيك فخرا

واكتب عنتر

لم يزل على الدرب يا عبل رغم الصعاب

لكننا كما نرى يختمها بهذا الفارس الناقد للفعل والمكتفي بالحب الصابر مع الزمان ، لأنه لا يملك القدرة على التغيير .

وعلى الرغم من احتماء الشاعر بالتراث والتهافت بعدا عن المباشرة إلا أنه لم يستطيع أن يتخلص كلية من هذه المباشرة ، ولعلها محاولة منه خشية أن يقع في الغموض والاستغلاق ، مع أن مفاتيح القصيدة واضحة ما كانت لتعوزه إلـــى هذه المباشرة .

وكم يضحكون وكم يكذبون
وعبر الإذاعة ينطلقون
بكل الأكاذيب ينتصرون .
وفوق الرصيف ... وعبر النوافذ ينتظرون
صدور الرغيف
وعمالنا الكادحون
بفنون باسمك رغم الضياع

وكما يقولون فإن مطلع الهلال يبشر بقدوم بدر؛ وهـذه الإضـاءات التـي قدمتها كشفت عن شاعر قادم على الطريق سينضج بسرعة لنضيف به إلى سماء الشعراء نجما جديدا ربما يأتلق في المستقبل

المتابعة الثانية

حمزة الشريف شاعر القنفذة

وديوانه عطر تهامي

الشاعر حمزة أحمد عامر الشريف من شعراء القنفذة – المملكة العربية السعودية من مواليد ١٣٦٩ هـ ، ويعد من الرعيل الأول الذي عاصر أجيالاً، شاعر وقاص كتب الشعر منذ نعومة أظفاره عندما كان ملازماً لوالده الشاعر أيضاً وكان يدون ويحفظ ما يقوله له ، و كان وقت أن عهد إلي نادي الباحة بتقويم الديوان ؛ يعمل موجهاً تربوياً بإدارة تعليم القنفذة وعضواً منتسباً في نادي جدة الأدبي الثقافي ، وهو الديوان الثاني في رحلة الشاعر الذي اختار له عنوان (عطر تهامي) ، وقد صدر ديوانه " الشواطيء " عن نادي جدة الثقافي ، ويقع في مائه وعشرين صفحة من الحجم الصغير وقدمه الأديب المعروف الأستاذ / عبد الفتاح أبو مدين ، وواصل بعد الديوان الذي بين أيدينا مسيرته العلمية والثقافية والإبداعية فحصل على درجة الدكتوراة من جامعة الزينونة ، وله عدة مؤلفات منها : (ديوان (ألهمني البحر) ، و(الشواطئ) ، النوخذة عثمان – وخمس قصص للأطفال (الكهل حسان) – إضافة إلى مؤلفات لا تزال تحت الطبع منها انثربولوجيا محافظة القنفذة) وهو عضو أندية جدة والباحة وجازان وأحيا أمسيات شعرية بهذه الأندية، ونشرت شعره كبريات الصحف والمجلات الأدبية.

والشاعر حمزة الشريف التقيت به على عجل في أمسيات كلية المعلمين بالقنفذة ، فرأيت فيه شاعرا مهذبا رقيقا ، وخطيبا مفوها .

إن أول ما يلفت نظر المتصفح للديوان أن هناك قضايا وأفكارا رئيسة تربط قصائده " ، أول هذه القضايا قضية الوطن والانتماء ، والانتماء يبدأ عنده من الأصغر للأكبر من موطنه ومنطقته إلى مملكته مما يكشف عن وطنية صادقة ،

تنطلق من عمق الانتماء للبيئة المحيطة إلى صدق الانتماء إلى الوطن السعودي الكبير ، وتتعدى شواغله الوطنية حدود مملكته إلى قضايا أمته العربية والإسلامية وإذا تركنا الحديث عن العمومية جانبا ، وذهبنا نبحث عن مفردات هذا العموم . طالعتنا هذه اللغة الشاعرية القوية التي تنبض بالحب الدافق لذرا وطنه وذراته . يقول في قصيدته "الوطن في عيوني " :

احتواك الفؤاد يا نبض روحي يا حروفا وبلسما للجروح
أنت يا موطني ضياء عيوني ومكان إشراقة للطموح

ويسترسل فيما للوطن من أمجاد إلى أن يقول :

فلتعش ياثري البطولة تاجا دربك العز قد تسامى انتهاجا
ولك الراية الرفيعة تزهو بهدي الحق قد هدت أفواجا
قد جعلنا لها العيون مهادا وجعلنا لها الصدور سياجا

وتهامة تسقيه عطرها على وله في قصيدته " عطرها في" :

عطر تهامة تسقيه على وله وإنني منه مجروح ومسلوب

إلى أن يقول :

تهامة يا رؤى الإلهام رافقني هذا الشذا ، وله با لليل تأويب
نقول رباه للآهات أغنية وللذين تناهو في الهوى ذوبوا
وللذين رشاش العطر يأسرهم خذوا البقايا ومن آهاته توبوا

ويستبد به الحنين إلى الشاطئ الذي عقدت ألفة قديمة بينهما ، وعزفت رياح الشمال لحنها فتجاوب مع هذا اللحن الموج الأزرق :

وهو الشاطئ الذي كحلته زرقة البحر فهي تثري المشاعر

... ...

يا بحار المرجان شوقي استبدا وعن الهاجس القديم تعدا

والشط قد سامرته الليالي عدت للحب أنجز الحر وعْدًا

ثم يتغنى الشاعر ببلدان منطقته ، فمن "ملهمة الشعراء" جدة ، إلى "باحة الأحباب" الباحة وفي "باحة الأحباب" ينتقل الشاعر بين مرابعها وغاباتها ، كالعاشق المتيم ، فكل بقاعها معجبة فاتنة ، تمده بالشوق ، وتلهمه القريض ، ويتردد في جنبات القصيدة العقيق والمذق والحمران وحزنة والمخواة ... إلخ " ويستبد به الشوق ويبلغ به مبلغه ، فيردد :

فيا باحة الأحباب هذي شواطئ تحن إلى لقياك والشوق يسبق

وفي أغنية للشاطئ:

يعود إلى الباحة يغني أشواقه .

ما غبت عن شاطئ الأحلام أهجره ففيه أحلى خيالي وأحلامي

وفي زيارة شوق " إلى الباحة " .

درة الوادي لقد طال الظمّأ وأنا في هدأة الوادي ظمى

....

أنالي في باحة الحب دنا وأضاميم كلام ملهم

والشاعر مولع مغرم بكل بقعة من بقاع موطنه ، فهذه أيضا "رسالة إلى شدا" يعبر فيها عن عمق الروابط بين موطنه والبلاد المجاورة.

وقفت والشعر يجري في مخيلتي لهذه الأرض حتى بحت بالقسم

إني أحب الثرى والناس في بلد له روابط تبقى في فمى ودمي

للقنفذا، وهي في حضن السهول ندا مخواة ياجارة الأكرام والقمم

إن الوشائج بين البلدتين لها تاريخها ولها سيل من الكلم

وفي قصيدته " فيض الحب " ، يبدو في اعتزز بما قام به أولو الأمر في المملكة من توحيد للبلاد ــ وتوطيد لأركانها ، وتشييد لعزها الشامخ ، ومجدها

التليد ، وما لهم من آلاء بيضاء ، والشاعر يلتصق بهذه المنجزات ، فتحس أنها جزء منه .

فمن نهضة علمية ذاع صيتها وطاولت الأفلاك سامقة العود
إلى نهضة العمران والزرع والنما تفيض عطاء بعد جد ومجهود
إلى واحة للأمن قد طال ظلها وأتت ثمارا تجتني في العناقيد
تفيأها الإنسان في عز دولة سعودية الأمجاد في عهد توطيد

وكذلك نجد امتداد لهذه المشاعر الحية النابضة في قصيدته "العطاء والوفاء".

وفي قصيدته " الحرف والصمت" تراه مشغولا بأعلام وطنه وفرسانه ، مشيدا بأعمالهم الجليلة ، وودع مواكبهم ، بعد أن ودعوا ساحة الحياة ، وفارقونا إلى جنان الخلد :

لقد مضى الركب من فرسان ساحتنا مودع بأكاليل وتيجان
وباقة الزهر للفرسان من وطني إلى جمال وسرحان وزيدان
وكل من ورثوا الأمجاد في بلدي مني لهم نبض تقديري وعرفان

وهذا التقدير والعرفان إنما هو وفاء لعطائهم لوطنهم ، حتى صاروا نماذج فاعلة يضرب بهم الأمثال في الوطنية .

أحبهم شعلة الإحساس ما خفتت فنورها قبس في كل ميدان
أحبهم ما يزال الحب في خلدي يسقى بماء وفاء بعد إحسان
وما نوفى الذي أعطوا فقد تركوا مجدا مشيدا على أركان إتقان

وهكذا نرى وطن الشاعر يملك مشاعره وأحاسيسه بكل ما فيه من رموز وطنية أو أمجاد محققة أو بقاع خلبته وملكت عليه شغاف قلبه.

وننتقل مع الشاعر فنجد شواغله الوطنية الإسلامية ، ينطلق بها إلى حيث آلام الأمة الإسلامية ، فالجرح الفلسطيني مؤلم لكنه يرى ضرورة عدم الاستسلام للألم ، وينبغي ألا يموت فينا حس الجهاد ، وألا ينطفئ للأمل نور ، من قصيدته "وكانت فلسطين" :

سمونا على الجرح والخائنين وفي كل درب لنا شبل

ويمضي بنا حتى يصل إلى هذه الحكمة الغالية :

ولا نرتضي الذل نسقي به ونسقيه من جاءنا يجهل

أما مأساة البوسنة ، فتشغل قصيدتين من قصائد الديوان الأولى في "رسالة من البوسنة" حيث تتفاعل نفس الشاعر "وروحه مع المآسي ، التي حدثت إبان السطو الصربي عليها ، وقد جعل الشاعر الرسالة على لسان أحد البوسنيين ، ليخرج بها عن حدود المباشرة ، ولكن حدة عاطفة الشاعر تجاه الأحداث تجعل النبرة التقريرية تعلو في القصيدة ، وهو يبحث خلالها عن أسباب ما حدث ، ويستحث المسلمين في كل مكان على التكاتف معهم ــ فيصرخ شارحا المأساة :

أنا مسلم ناديتكم يا قوم حي على الفلاح
ناديتكم لكنكم لاهون في حال ارتياح
وأنا وأبنائي يزمجر في مواطننا السلاح
وهنا الثكالى ما لهن سوى المآتم والصياح
وجنائز ضاقت بها ... ضاقت بها الأرض البراح

ومع هذا فالقصيدة أعلى فنيا من قصيدته الثانية "شهيد بوسنوي" حيث تتوارى حدة العاطفة وعمقها في معالجة مباشرة تكتفي بتداول الأحداث بلغة إخبارية أقرب إلى نشرة الأخبار منها إلى اللغة الشعرية .

وعلى كل فتلك هي القضية الأولى التي برزت من خلال قصائد الديوان .

أما القضية الثانية ، فيمكن أن تمحور تحت عنوان "الزمن والذكريات" وهي قصائد تأملية حافلة بالمفارقات سواء على مستوى الأحداث الزمانية ماضي وحاضر أو مستقبل أو على مستوى العلاقات التي حاول الشاعر أن يستنطقها من خلال علاقته بما حوله من موجودات بشرية وغيرها ، وهذه التأملات لا تخلو من فلسفة ورؤية شعرية يقدمها الشاعر، ولكنها فلسفة رقيقة ، لا تجعل الزهنية تطفو على سطح اللغة الشعرية ، مما يصبب العمل بالبرود الذهني ، ولكنها الفلسفة التأملية القائمة على جدلية المفارقات ، وقد استطاع الشاعر أن يعطينا خطا ممتدا خلال تلك الرؤية كما سيتضح لمتصفح الديوان فالزمن قضيته يبدو للوهلة الأولى من خلال العناوين والموضوعات التي اختارها لقصائد "تجري السنين " ورقة تقويم " "وفي العشرين " ، " أمس " " في بوتقة الذكرى" ، "عام وعام" ، سنين المصيف " .

أما المفارقات فلم يكتف الشاعر بالزمن لإبرازها وإنما رأينا ذلك في قصائد أخرى "وجوه" "حديث الأرض" "صمت الهائم" ... إلخ

ويبرز البعد الإنساني عميقا في قصائد الشاعر من خلال هذه المفارقات ، فيبرز ما آلت إليه العلاقات الإنسانية ، وما طفح عليها من سقم أقض مضجع الأنين ، وزاد من بؤس البؤساء ، وتطلع الشاعر من خلالها إلى عالم مثالي ، يجمعه الود والتكافل والإخاء والصفاء ، وغيرها من المعاني الإنسانية السامية .

ففي قصيدته " تجري السنين " يقارن آثار الزمن خلال رحلة عمر انقضت في صراع مع الصبر والمستحيل :

أي عمر تبقى بعد كدح طويل
ومران ثقيل
وصراع مع الصبر والمستحيل

ويبدأ في المقارنة بين ماضيه وما آل إليه حاله بعد ثقل وطأة الهموم .

على رأس قد أناخت دهور

وفي همسه حشرجات القبور

ويبدأ في التساؤل :

أنا كنت في ميعة كالزهور

وكنت وكنت ... حتى

وأسئلة بين كيف ... وماذا ... متى

إلى أن يصل إلى حل لهذه الحيرة من وجهة نظره :

خذ المتبقي على راحتيك ... ودع ما مضى .

وخل السنين تقضي الحنين ، ويملأ شجو الأسى مقلتيك

فتصفو دموعك حين الرضي

والزمن يصاحب الشاعر في تأملية أخرى " ورقة تقويم " أو عز زائل " . وكيف أن الزمن يجمل معه أسراره ، وما يحدث للإنسان فيه "بين صبح ودجا " وهكذا هي سنة الحياة فالرياض والطبيعة ، وكل ما حولنا يتغير بتغير الزمان ويعقب على ذلك برؤيته التي " تخفي عن جهالات البشر " وهو الإيمان الذي ينير الطريق :

أيها السائر في كهف الظلام وتظن العمر يبقى في تمام

افتح القلب على نور الأنام في كتاب الله نلت المخرجا

ويطل الزمن وما يصاحبه من ذكريات تغطيها مسحة من اليأس في قصيدته " وفي العشرين " :

وفي العشرين غطى الشيب رأسي وغشى نور عيني القتام

وأرهقني من الأيام كر تقاذفني بها يمن وشام

وأنكـــر طلعتـــي خـــل وإلـــف لمـــا يبـــدو علـــيّ ومـــا يشـــام
أقول لمن يسائل عـــن حيـــاتي أنـــا عمـــر تخرمـــه الســـقام

والشاعر صادق مع أمسه ، ففي قصيدته " الأسى " تظـل صـورة الأمـس تتردد داخله لا يتغير وفاؤه له رغم تغير الأحداث :

ويبقى صدى الأسى في خافق لا يخون
ولا يعرف الحقد دربا ولا غيرته السنون
ويخلص للأمس ويجدد قلبه معه النشيد
عليه من الأمس تزهو الثياب .
ويفتح في أعين الشمس للفرح باب

ولعلنا نرى أن الزمن محور هذه القصائد ، وننتقل مع خـط الزمـان فـي أحداثه خطوة أخرى حين نجد أن الذي يعني الشاعر ليست همومـه الشخصـية فحسب ، بل ينطلق منها إلى هموم العالم .

ففي قصيدته عام وعام . يرى الشاعر أن الأعوام تتوالى ، والأيام تجـري والعالم يعج بمآسيه ويضج بما هو فيه ؛ فتكثر تساؤلاته ، ما الذي دهى العالم ؟

فمن وطأة الهم قاسى الكثير
.....
والصمت يلف العالم من حواليه فينتهي إلى تقرير
" فقد علمت أن هذا الزمان
زمان سكوت
وتابوت ... موت
ويظل سؤاله يترد لكنه يضيع ولا يدرك المبتغي
وإن قلت ماذا دهى عالمي

يقولون هذا كلام نشاز
وإن طوعوه لبعض المجاز
مضى في المعاني وجاز
... ...

ورغم أن السؤال قديم إلا أنه لم يدرك المبتغي .

وترتفع نغمة البعد الإنساني في قصائده التالية . ففي بوتقة الذكرى قد تكشف له الكون عن مآسيه :

" وترينا الكون مشحونا بغدر وزور وكذاب
وعلى الإنسان أن ينظر للعمر كسطر في كتاب
ويعيش الواقع المر ويمضي في التغابي

ويحاور الأرض في " حديث الأرض " وفي نظرة تأملية توقفنا على ظلم الإنسان لنفسه ، وكيف أن الأرض لم تحمل الأمانة التي حملها الإنسان ولعل ما نقف عنده من القصيدة هو حين يسمع صوت الأرض تحدث عن رؤيتها للأنام فوقها :

ورأيت الأنام فيهم جحود كل خير بفعل يشاب
وأراهم في كل ساح حيارى ما أرى في الوجوه يبدو متاب
ليتهم يدركون هولُ مخاض يومه قبلي في العالمين الرغاب

وفي " نداء الدموع " يشرح أسرار همومه ومآسيه ، فالعالم مشحون بالألم:

عالم غابة ضاع فيها الأمان
وبها تَعْسُلُ الذئاب حتى يحيل المكان
وجر غدر وخوف يحيط الجبان

لكنه في النهاية لا يملك لإصلاح العالم سوى دمعته وندائه لأمته:

ليس عندي سوى دمعتي
حرقت بالأسى مهجتي
والنداء البعيد ــ البعيد
النداء الذي شد حبل الوريد
وصحا ... هاتفا ... أمتي .. أمتي ..

لكن العالم في نظره ليس كله على هذا المستوى ولكنها الحياة الغاصة بالمتناقضات ففي قصيدته وحده " يقدم لنا فيها نماذج شعرية مختلفة ، يسافر بين وجوه البشر ، يكشف صور هذه النماذج ، ويعود بعد استكشاف هذه الأضداد .

لم أنكر الأشتات إن الحياة فيها من الأضداد نحل وجود
وفي طواف الدهر من يشتكي
وفيه من يسمو ويزهو رضاه

وهذا لا يمنع الشاعر من الإفصاح عن آماله في الوصول بالعالم إلى صورة مثالية ففي قصيدته بين الضحك والبكاء يختمها بقوله :

فيا من جعلتم بسمة العام "موضة" ألا تجعلون العام عاما مثاليا
فيخلو من الأنات والحزن والبكا بعطف على الشاكين نهدي التهانيا
وبعدٍ عن الآلام والجوع والعنا وقرب إلى عصر يزيد الهنا فيا
فهنا يسود الابتسام عوالما وتشرق شمس تنبت الحب زاهيا

وللقصيدة الوجدانية العاطفية الغزلية مكان في الديوان من مثل "للعذارى" وهي قصيدة غزلية رقيقة من مقطوعتين والأخرى "بين صد ووصال" ويمتد خط الهجر والجفاء المعذب والمضي للشاعر من حبيبته الأثيرة إليه في القصيدتين .

يقول في الأولى :

أو مـــا تـــذكر الليـــالي وقلبـــا شـــفه الوجـــد بـــالغرام العنيـــد
أنا لم أنس عندما كنـــت طفـــلا وبـــدأنا فـــي حبنـــا المعهـــود
وكتبنا علـــى الجـــزوع البقايـــا قصـــة قـــد نـــأت عـــن التحديـــد
تلك أيامنـــا فهـــل مـــن رجـــاء يـــا حبيبـــي يعيـــدنا للوجـــود

ويقول في الثانية :

كفى منك هذي الليالي حوالـــك وللصمت في الأرجاء غول وســـربال
أعود وحيدا والجوى ليس ينتهـــي وصرح الهدى بالمطل يهوى وينثـــال
وفي مشقة لحن حزين حروفـــه طغت حين أحيا ذكرها الصاد والـــدال

ولا نريد أن ننتقل من الحديث عن الأفكار ، قبل أن نقرر حقيقـــة الوحـــدة الشعورية المسيطرة على الشاعر ، فالشاعر تترابط أفكاره فـــي قصـــائده علـــى الجملة ، ولم نستشعر اضطرابا أو تناقضا فكريا داخل إحداها ، بل على العكـــس تأخذ بعضها بعناق بعض ، وبعضها يتنامى الخط الفكري في قصائده تناميا دراميا مما يجعلنا نؤكد قدرة الشاعر على كتابة الشعر الدرامي ، خاصـــة وهـــو يتمنـــع بموهبة موسيقية طيعة والعنصر الأخير سوف نقف عنده فيما يأتي .

لكن ينبغي أن تؤكد على ظاهرة فنية ، تمثل مقدرة للشاعر ، وهـــو حســـن الاستهلال وبراعته والتمهيد لقصيدته بمطلع متميز يشد القارئ ، ويأخذ بتلابيـــب وجدانه ، وهذه طاقة تعبيرية وفكرية لا يستهان بها ، ولنذكر على سبيل المثـــال لا الحصر مطلع قصيدة "الوطن" :

لا يزهر العشق إلا حـــين أذكـــره وحـــين أذكـــره بـــالعطر ينفحنـــي

ومطلع قصيدته "فيض الحب" :

أزجـــي أناشـــيدي وأرســـلها كـــالزهر فـــي بهجـــة العيـــد

وهذا الاستهلال عنده جزء أصيل في بناء القصيدة وليس إطارا لها فحسب ففي قصيدته "سفر العلماء" التي أهداها إلى صـديقه الأسـتاذ / عبـد الـرحمن الحازمي بمناسبة سفره لطلب العلم يأتي استهلاله :

لا تدرك النفس ما للعلم من أثـر حتى تنال العلا في لصبر والسـفر

وحتى تساهر في الأفاق أنجمهـا ترنو وتقطع ليل السـهد بالسـور

وهذه سمة غالبة في شعر الشاعر .

فإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن الصورة الشعرية :

نقول إن الشاعر يتمتع بخيال خصب أتاح له أن يقدم صورا شعرية رائعة ، غير أن صوره الشعرية تتراوح بين الصور الجزئية والخيال الممتد ، وإن كانـت الصورة الجزئية هي الغالبة ، ومكونات هذه الصورة من هذه المفردات والعناصر التي تكونت منها الصورة الشعرية المتعارفة في الشـعر العربـي فـي مراحلـه المختلفة ، غير أن الشاعر يخلع في صوغها شيئا من التجديد الشخصـي الـذي يعبر عن مقدرة الشاعر وشخصيته .

من هذه الصور قوله في قصيدته " البكاء والوفاء " :

وتقدم الصـحراء نهـر عطائهـا وشذا الأزاهر في الحقـول إلـيهم

تناقلتـه شـفا الفجـر أغنيـة طرية الصوت تهدى مـن يـد ليـد

وقوله في قصيدة " باحة الأحباب " :

وفوق الروابي الزهر عرس تقيمه بلابـل دوح تنتشـي وتحلـق

وغابات عطر ألهمتني قصـاندي شدوت بها يزكـو شـذاها فيعبـق

وقوله في قصيدة " الكحل الأزرق " .

وعلـــى جفنهـــا يـــذوب جمـــال مثلمـــا ذاب إثمـــد فـــي النـــواظر

ومن ذلك كذلك صورته الجيدة في قصيدته "في بوتقة الذكرى":

واحتراق اللحن في صدري على شمع مذاب
من هنا صوح زهري وجفا يوم اقترابي
والذي جف ولف الصمت أطيار الردى بي
والمعاني لم يعد فيها سوى جرعات صاب
يحتسيها الصامت الولهان شهدا من شراب

وقد نقف معا عند بعض الصور التي نحس فيها عدم توفيق أو اضطراب من ذلك قوله في قصيدة " الوطن " .

يهـــز مجـــد كالســـيف شـــفرته فيها المضاء وفيها النور يغمرنـــي

فالمجد لا يوصف بالمضاء وإنما العزم هو الذي يوصف به .

وكذلك قوله :

... ... وأمنيـــــــــــة تحققت فغدت أســـنى مـــن الحلـــم

فكيف تتحق الأمنية فتغدو حلما .

وقوله من قصيدة " فيض إلي " .

وفي مهبط الوحي الذي شاع صيته بقرآن رب العرش يزهـــو بترتيـــل

إذ لا تتناسب كلمة شاع من جلال الوحي .

النغم والإيقاع

مما يحمد للشاعر هذه القدرة النغمية والإيقاع الشعري المناسب لجو القصيدة ، وهذا التوافق نلاحظه في قصائد الديوان ، الذي تنوعت موسيقاه على ثلاثة أشكال النغم العربي التقليدي " الإطار الخليلي " ، ثم نظام المقطوعات ، ثم النظم على شكل شعر التفعيلة أو الشعر الحر.

أما الشكل الأول فنجد أنه نظم في الأبحر المتداولة فنظم في الخفيف والوافر والطويل والرمل ، والبسيط والمتقارب والكامل .

ولأضرب مثالا على ذلك بهذا التعانق الموسيقي ، بين الموسيقى الداخلية والخارجية والقافية ، مما يكون نغما ، تستشعر فيه عمق الحب الذي أطربه ، فتجاوبت موسيقاه مع هذا الطرب في تجاوب متعانق في هذه الدالية .

تدفقت قافيات الحب في خلدي فرحت أنشدها حبا إلى بلدي

إلى أن يقول :

تناقلت شفاه الفخر أغنية طرية الصوت تهدي من يد ليد

واستمع إلى هذه الموسيقى الطبيعة المرنة ، وقد أضاف إليها التزامه بتقفية الشطر الأول لتظهر قدرته الموسيقية واضحة :

يا حبيب الشعب نهديك التحية ملؤها حبٌّ نما في كل قلب

أنت تعطي الحب أفراد الرعية وهم يعطون حبًّا فوق حب

غير أنه يخرج على المعهود من شعر العرب ، فيؤلف من الرمل واضعا أربع تفعيلات في كل شطر والمعروف أن "الرمل" التام يكون ثلاث تفعيلات في كل شطر ، غير أن الشاعر يخفف من طول الأشطر ، بأن يلزم نفسه بتقفية الأشطر الأول في القصيدة ، وهذا الخروج غير معهود في تراثنا الشعري الملتزم بعروض الخليل . يقول من قصيدته "ملهمة الشعراء " .

ألهميني مثلما ألهمت قبلـــي الشـــعراء اسكبي سحرك يا جدة من وحي القلـــم
أطلعيني يا عروس الشرق قد حان اللقاء وهبيني دفقة يرقي إليهـــا حلمـــي

وإن عددنا هذا الخروج غير المألوف تجديدا من الشاعر ، فإنـــه نـــد عـــن سليقته الموسيقية بنيان من قصيدة "وحي الخليج" القصيدة من الرمل:

فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلا فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلا
مركبـــي طـــوف بـــالأمن وعـــاد فـــــي حنايـــــاه بقايـــــا الانقـــــاد

جاء على غير هذا بيتان في القصيدة :

راحـــل والأمـــل المشـــرق فـــي عيـــوني مـــــا تمنـــــى بالرقـــــاد
وإلـــــى القمـــــر الســـــاري إذا جن ليلـــي جئـــت أبغيـــه الرشـــاد

والشكل الثاني من موسيقى الشاعر . هو شكل المقطوعات الشعرية ، وقـــد اختلفت هذه المقطوعات ، فقد يصل المقطع إلى خمسة أبيات كما فـــي قصـــيدته "الكحل الأزرق" أو أربعة أبيات كما في قصيدته "الوطن في عيوني" كل مقطوعـــة تشترك في قافية وروى واحد . ويربط الخط الفكري بـــين هـــذه المقطوعـــات ، ويحدث التغير الموسيقي توافقا مع الفكرة المطروحة ، ويعمل على قطع الرتابة .

أما قصيدته " عمر زائل ــ ورقة تقويم " فيبنيها على نظام المربعات التـــي تلتقي أشطرها الثلاثة في قافية ، ويلتقي الشطر الرابع مع الأشطر المماثلة فـــي المقطوعات التالية :

قلب التقـــويم فـــي كـــل صـــباح وانظر الأعمار قد راحـــت نـــواح
اجعـــل العفـــو دواء للجـــراح مـــن يـــد الله الكـــريم المرتجـــي

وقد جاءت سائر المقطوعات على بحر الرمل كما نرى .

أما قصيدته " في المحيط " فتعتمد المقطوعة على ثلاثة أشطر، وقـــد بنـــي الشاعر القصيدة على بحر المتدارك ، وجعل الشطرين الأولين من كل المقطوعـــة

من التام ، وجاءت بقية الأشطر من المجزوء .

وقد جعل قوافي المقطوعة الواحدة مختلفة لكنها متفقة مع ما يوازيها في المقطوعات التالية يقول :

لم يكن عالمي ساحة للحروب لا .. ولا زاره حقد قلب سقيم

كان كالنسمة الحالمة

عالمي كان نفح الطيوب كان سلسال وَكْف النسيم

ودليل الخطى القادمة.

وقد أحدث هذا التنوع في القافية والتقاء الأشطر تناغما رشيقا ، وهي براعة لا تتأتى إلا لشاعر متمكن .

أما الشكل الثالث في الصورة الموسيقية لدى الشاعر فهي صورة "الشعر الحر" أو شعر التفعيلة وقد استخدم الشاعر ذلك في أكثر من قصيدة استخدم فيها أكثر من شكل فاستخدم فعولن كما في قصيدته "أمي" ، وفاعلن كما في "نداء الدموع" و"شحوب" "شهيد بوسنوي" واستخدم متفاعلن كما في قصيدة "رسالة من البوسنة" ، و" فاعلاتن " كما في "بوتقة الذكرى" أيضا زاوج الشاعر بين "فاعلاتن ، فعولن " في قصيدته " تجري السنين " في فقرات مقيدة ليعوضها بتوالي قوافي محكمة أسهمت في إحكام قصيدته :

أتى عمر تبقى بعد كدح طويل ... ومران ثقيل

وصراع مع الصبر والمستحيل

حين تجري السنين ... ينبت الشعر مثل الثغام

وهذا التنوع يدل على شاعرية وموهبة طيعة كما سبق أن أشرت غير أني أقف مع قصيدته " رسالة من البوسنة" التي جاءت على نظام الشعر الحر وجعل وحدتها البنائية "متفاعلن" صحيحة ومضمرة ، ونلاحظ أنه لم يستطع فيها الخروج

من أسر القصيدة التقليدية التي هي بيته الأول ، فلا نكاد نجد ضرورة فنية للخروج على الإطار الخليلي للقصيدة ، اللهم إلا مجاراة لما يجري على الساحة ، فالقصيدة مقفاة تتخذ حرف الروى النون في الجزء الأول ، ثم الحاء الساكنة في الجزء الثاني ولم يتأت الخروج إلا على عدد التفاعيل التي تراوحت بين ثلاث تفعيلات في السطر الشعري ، وزادت إلى ستة أو سبعة في أسطر أخرى . جاء فيها :

فلقد حملنا راية الإسلام ما نخشى الطعان
وبنا تجول الصافنات يقودها قدح السنان
أنا لست أذكر ما مضى فالمجد لا يأتي بكان
المجد يدرك بالفداء له مع العليا اقتران

المتابعة الأخيرة

دراسة لديوان (من وحى القلب)

للشاعر تامر المطيعى

عرفته ــ رحمه الله ــ من خلال نادي أدب أسيوط ؛ واحدا من شيوخ الشعر فيها ، وصحبني في بعض مؤتمرات الهيئة العامة لقصور الثقافة وفي لقاءات شعرية متعددة داخل أسيوط وخارجها ، وقد كان شاعرا مطبوعا ؛ له باع في معرفة العروض ؛ وظل طيلة حياته فيما أعلم مخلصا لنمط القصيدة التقليدية من حيث الشكل ؛ لا أعرف من حياته الخاصة سوى أنه ينتمي إلى قرية المطيعة من أعمال مركز أسيوط ومنها اتخذ لقبه (المطيعي) ؛ كان رحمه الله دمث الأخلاق حلو المعشر دائم الابتسام الرقيق الذي يخفي خلفه عناء الحياة ومتاعبها وديوان الشاعر تامر المطيعى (من وحى القلب) صدر في سلسلة مطبوعات فرع ثقافة أسيوط سنة ٢٠٠٨م في حوالى ستين صحيفة من القطع الصغير وضم سبعا وأربعين قصيدة شعرية ، ليس بين أيدينا ما يشير إلى زمن إبداعها ؛ ومن ثم فقصائد الديوان تخلو من أية هوامش سياقية تحدد زمن الكتابة ومكانها ، بحيث تسعف القارئ على تمثل دلالات القصائد واستيعاب خلفياتها المعرفية وهو الديوان الثانى له فيما أعلم إذ أنه قد أصدر قبله ديوانه الأول (مقاطع من بحر الظما).

دلالات الديوان:

وقصائد الديوان تجمع دروبا من الحيرة والقلق والتوتر الذى تحول إلى حالة من الثورة والنقد اللاذع للأوضاع توزع هذا موضوعيا بين الهم القومى العام ، والواقع الحياتى المعاش الذى يكابده ، وإلى حالة من الهم واليأس طفا على سطح القصائد الوجدانية متمثلا فى أحلامه الضائعة التى تسربت من بين أصابعه بمضى السنين وتقدم العمر، فغدت سرابا ووهما .

أ- الهم القوم العام :

لا يختلف كثيرا شاعرنا عن غيره فى تناول الهم العام إلا فى كيفية التنـــاول لأن القضايا القومية العامة هى قضايا جماعية يشترك فيها كل أبنـــاء الـــوطن ، وكان ماآل إليه الوضع العربى المهترىء من ضياع وتشرذم ، ويأتي هـــذا فـــى مقدمة ما يؤرقه ؛ كيف لا والأمة تخطو خطوات متعثرة ، وتضل طريقهـــا شـــيئا فشيئا ، فمن للرعية إن هان الرعيان :

هـــذه أمتـــى وتلـــك خطاهـــا لاينـــال المجـــد فيهـــا صـــوابه

... ...

ويلنا والـــذئاب أضـــحت خرافـــا فـــى ثرانـــا مذلـــة ومعابـــه

... ...

أمتـــى بعثـــرت وضـــاع حماهـــا لايساوى الزعيم فيهـــا ذبابـــة [1]

والحيرة الملازمة للشاعر لا تكاد تنفك عنه أو تفارقه بعدما آل إليـــه حـــال الأمة:

صـــــفو الميـــــاه تكـــــدر فـــــى وردنـــــا وتعكـــــر[2]

وهذا أورثه حالة من الانكسار والمهانة التى أقضت مضجع الشاعر

ديـــارى وأهلـــى وكـــل كيـــانى رفاق علـــى مركـــب مـــن خطـــر

وعـــود ســـراب وقـــوم كـــذاب وليـــل بهـــيم جفـــاه القمـــر

ومهـــد نقلـــب فيـــه جحيمـــا علـــى أضـــلع بـــاللظى تســـتعر

ودربـــى يضـــيق رويـــدا رويـــدا وحلمـــى بـــين الـــدياجر جمـــر

(١) ديوانه (من وحى القلب) مقاطع من قصيدة(ناطحات السحاب) ص ٢١

(٢) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة صفو المياه ص ١٩

وعينـــاى لا تبصـــران الطريـــق وخطوى تكبكبه خافيـــات الحفـــر

ويمضى إلى :

ففى كـــل شـــبر أرى لـــى نـــذيرا فـــأين مكـــانى بـــين البشـــر

وبين الوعود الكاذبة برجوع الأرض، وخداع الســلام ، يســتنكر الشــاعر الاستسلام لسراب وعود لا تأتى ، والأرض قيد الاحتلال ، والأعــداء يتجهــزون للطمة ثانية :

ســكرنا بـــالوعود وقـــد قتلنـــا بقـــداح وأيـــد يخـــدعونا

... ...

وهـــا أنـــتم علـــى وعـــد أنمـــتم مـــدى الأيـــام يـــتم صـــابرونا

وهـــا أنـــتم بـــأعينهم تســـيروا وبالألفـــاظ مـــنهم تطربونـــا

ألـــم تـــر أنهـــم بـــاتوا ليوثـــا ليـــوم قتالنـــا متحفزونـــا

ومـــن أشـــلاء قـــتلاكم نـــداء متى الوعد المبين فتنصـــرونا [1]

وجعجعة القادة جعجعة بلا طحن ، فأقصى مايصنعون هو الشجب والاستنكار والإدانة ، ومواقفهم مدانة ؛ طالما أنها لم تنتقل من القول إلى الفعــل ، ويتــرجم الشجب إلى عمل :

الشـــــاجبون الثـــــائرون متـــــى يقـــــرون الجهـــــاد

وبمـــــلء أعيـــــنهم يـــــرون الخطـــــب قـــــد عـــــم الـــــبلاد

مـــــلء المســـــامع صـــــوتهم قـــــولا بـــــلا مـــــاء وزاد

يتواعـــــدون وينـــــذرون ومـــــالهم أبـــــدا ســـــداد

والقـــــدس تلقـــــى حتفهـــــا والنـــــار عنـــــدهم رمـــــاد

(١) ديوانه (من وحى القلب) مقاطع من قصيدة(الشاجبون) ص ٣٨

حجبـــوا عـــن الحـــرب الســـلاح وأشـــــــعلوها بالمـــــــداد [1]

ويتجه الشاعر إلى الرمز لتصوير الحالة العربيـــة ، فالكرامـــة العربيـــة أو غزالتنا العربية على حد تعبيره سقطت بين أنياب الذئب وسم الثعبـــان ، وحـــين هانت الكرامة هان كل شىء ، ووقعت بلقيس فى قبضة المغتصب

ولا من مجيب أو مجير بعدما
الليث الحامى ضاع فطيسا
وتحول أسد الغابة فئران
لا تفرق بين فلان وفلان
الكل يهاب الموت ويهوى ال ربان[2]
وفى حوارية غير موارية تطفح بالطعن فى كل المتواطئين والمتورطين
الدب يريد مكان
والنمل يريد مكان
والكلب يريد مكان
كل يتقرب للذئب الظامىء للسلسال الكامن تحت الأرض
فيهش الذئب القطعان
ويقرر طرد الرعيان
يعيش الذئب يعيش
جيش الذئب يعيش[3]
... ...

(١) ديوانه (من وحى القلب) قصيدة بلقيس ص ١٠
(٢) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة بلقيس ص ١٠
(٣) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة بلقيس ص ١٠

ولا تراه خارج إطار هذه الحالة إلا حين يمجد نصر أكتوبر ويحتفى بما حققه المقاتل المصرى من عبور ، ودك لحصون العدو ، ويبارك خطو الجند وفعل القائد فى قصيدة(حرب أكتوبر[١]) التى أراها محفلية ، و قصيدة (سداسيات مصرية) التى تتجلى فيها روح الفخر عالية بأمجاد مصر وشعبها وتاريخها وبطولات أبنائها ومنها :

ورثنا المجد فيك وهاك نحن وقود للوغى أنى امتهنت
لقد هب اليهود وكان يوما أطاح بعجلهم فى يوم سبت
فلا سلمت يد مدت إليك بشر تبتغيه وقد سلمت [٢]

ب-الواقع الاجتماعى :

وفى قصيدة (عودى [٣]) يقدم حوارا ذاتيا يخاطب نفسه متجردا منها ومتنصلا مما أبقت عليه من حب الحياة بعدما استشرى الفساد فى جسم المجتمع:

تتسكعين على الطريق وتنظرين إلى البغايا
أوما علمتى أنهم هدموا الطريق
وحطموا فيه الزوايا

وبعد ان يعدد ما صار إليه الأمر من ضياع وإفلاس وتزوير، وانتهاك للحقوق والمقدسات ،فالمصرف الوطنى أصبح خاويا:

سكنت جميع نقوده جيب اللصوص
والسلة الجوفاء فارغة وليس بها رغيف
والكل قد هرعوا إلى حيث المصير

(١) ديوانه (من وحى القلب) ص ٢٨
(٢) ديوانه (من وحى القلب) من (سداسيات مصرية)ص ١٦
(٣) ديوانه (من وحى القلب) ص ٢١

مستطعمين لحومنا

مستعبدين رقابنا

ويبلغ قمة اليأس والتأزم حين يفضل الموت على هذه الحياة فماذا تبقى لنا؟ وماذا تنتظر ؟ لعلها تخشى ظلمة القبر، فلعل ظلمة القبر تكون أهون :

عـــودى إلـــى مـــأواكى والســـــقف المخيـــف

عـــودى فكـــل جـــدار عزلتنـــا هـــوى قبـــل الخريـــف

عـــودى فلـــم تمتـــد نحـــوك فـــى الكـــرى كـــف نظيـــف

عـــودى فقـــد تـــرينهم منعـــوا القـــرى حـــق المضـــيف

عـــودى فلـــن تجـــدى هنـــا لـــك أو هنـــا رجـــلا شـــريف

لا ترتدى بثيـــاب ســـيدك الـــذى مـــا عـــاد بعـــد الحـــج

نحـــو الغـــرب بالرجـــل العفيـــف

ج ـ الهم الذاتي والوجداني :

وننتقل مع الشاعر من الهم القومي إلى الهم الذاتي فنراه ينســج تجربــة وجدانية عاطفية ونفسية بالعزف على أوتار الشجن والأسى والضياع والحــزن ، فتجارب الشاعر العاطفية ليس فيها ما هو وردى أو عذب مستطاب ، تبرز فيــه نجوى الفؤاد ، وجمال المحيا الصبوح ، أو متعة العطر العبق ، لكنهــا تجــارب انتهت بفواجع رومانسية تتمثل في الفراق والوداع الحزين فهو يكابد الوجــد ، ويتحمل تبعات الصبابة وحده فى تصبر على حرة الشوق ولذع الهجر :

وكيــف يطيــق ذو قلــب رقيــق لهيــب الهجــر يســكن جانبيــه

فإن الحــب كــأس فيــه صــبر يؤرقـــه ويكـــوى معصـــميه[1]

(١) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة(الشوق والسهد) ص ١٨

وحبيبه مخادع لايفى ، فأورثه الحب الغربة والكآبة يحتجب بهما عن لـــوم اللائمين ، رفيقه دمعه الذى أسبل عينيه :

أذوب اشتياقا فى هواه ولا يفـــى ولم يغن عنى منطقـــى وتفلســـفى
وضاعت رؤايا فى مجاهل غربتى كئيب يوارينى عن الناس معطفـــى
تخـــوفنى الأيـــام وهـــى غريبـــة تسيل دموع العين والنور ينطفـــى

ومن طول ما عانى تبرم بهذا الحبيب وخداعه ؛ لأنه لم ير فى الحب غيـــر خداع الأمنيات :

وفضلت أحيا على الجرح وحـــدى وأبعـــدت وجهـــك عـــن رؤيتـــى
وما عدت أصغى للحـــن الهـــوى لأنى أرى فـــى الهـــوى شـــقوتى
وما عدت أســـبح فـــى الأمنيـــات فهـــن خـــداع علـــى وجنتـــى[1]

والوحدة والاغتراب يلازمانه ، وهما ليس حالة مرضية لا يعرف لها تفسيرا ولكنه يدرك الحقيقة ، ويعلم أنه يطارد خيط دخان ، ولكنه يغالط نفسه ، ويلـــبس ثوب الماضى ، وهو قانع من أن كل هذا لن يغير من الأمر شىء :

ويشرق فى تيه اغترابى ووحدتى شعاع يعيد الوصل والتيه يفـــزع
يعلـــل مشـــتاقا ويغـــرى متيمـــا ويأتى بمن كانـــت تعـــز وتمنـــع
يخاد عنى والضوء وهـــم كـــاذب فـــألبس ثوبـــا للشـــباب فقدتـــه
واشرب كأسا من سراب وأرتـــع

ومنها :

مضت من سقتك الشـــهد علقمـــا لتسكن أعماقا بها الوجـــد يلســـع
ومن سحر عينيها سقيت أنا الهـــوى تحاول قطـــع الـــود وأنـــا أرقـــع

(١) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة (هجر واشتياق) ص ١٢

رجاء بعيد عــن منايــا وغــايتى وكيف بمن فى كف غيرى أطمــع

... ...

وها أنا بين النار والوصل ثاويــا فلا الوصل مأمول ولا الحب ينزع

فكـــل أمـــانى التـــى منيتهـــا بصرح بنيناه هــوى يتصــدع[١]

والحالة ملازمة ، ولكنه مقيم على صبره ، يستلذ بالألم ، ويستطيب الوهم .

وأبصـــرها ســـرابا يحتـــوينى ومنهـــا فـــارغ كفـــى وكأســـى

وما عندى سوى كبتى وصــبرى يقلبنـــى علـــى جمـــرات حـــبس

وليلـــى حالـــك وشـــعاع فجـــرى يمزق أضلعى ويطيح رأســـى [٢]

واليأس تسلل أخيرا إلى نفسه ، وأدرك سر الأكذوبة التى عاشها وصــدقها وأقنع نفسه بالتعلات والأمانى حتى انتهى أخيرا إلى لاشيء :

تعللت حتى خالط الشيب مفرقــى وكابدت أصناف الرجال بمــوثقى

فلما خبرت الناس أدركــت أننــى غريب عن الناس فريد بمنطقــى

ومن قصيدة (عادت) [٣]

لقد رسى زورقى من بعد غربتــه بشط تيه حوى ظلمــا وحرمانــا

اليوم جئت وغاب الحب عن بصــرى وارته ســحب تجافينــا ومنآنــا

وأرى دموعا أراهــا الآن كاذبــة وحبل وصل قديم طالمــا هانــا[٤]

(١) ديوانه (من وحى القلب) مقاطع من قصيدة سراب الوهم ص ٨ وما بعدها

(٢) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة ستعود الشمس ص٩

(٣) ديوانه (من وحى القلب) ص ٣٤

(٤) ديوانه (من وحى القلب) من قصيدة (من يلبس ثوب غيره) ص٣٠

والآن ،وقد ولى الشباب ، وشاخت معه الأحلام ، وماتت الرغبة ، وأدرك أن الأمل سراب كذوب ، وأنه يطارد المستحيل ، ويبحر فى بحر بلا شطآن ، وسفينة بلا ربان لم يتعلل بالوهم ويتشبث بالخيال

الآن

والعمر سحابة صيف

يتلاشى فوق ضفاف الستين

أدركت الآن بأنى الآن

من لاشيء.....أنى لا شيء

أين الأيام

وأين الأحلام؟

وأين شباب كان تدفق فى العشرين

.....

والرغبات ال ... كانت طوع يمينى؟

مصباح فى الأشواق وسحر الأشواق ؟

لم أدر بأنى للوهم أساق

وعبير حياتى وهم ....تتقاذفه الأنواء

أدركت بأنى أتشبث فى خيط واه

ذبلت زهراتى

والرغبة قتلت فى الأعماق

وتلاشت أحلام نعيمى

وانزاحت فى سفر ذهاب

وتبدو واجهة العمر فى الشعرات البيض

أدركت بأنى لا شيء
فى الأيام ألا شيء
أتمطى زورقى السابح
فى بحر سراب
بين ضفاف الوهم
فى لآخر لحظات العمر
وآخر ومضات القرن الواحد والعشرين [١]

المقومات الفنية:

يغلب على قصائد الديوان المحافظة على النظام الإيقاعي التقليدي الموحد ؛ مع موافقة الوقفة الدلالية للوقفة العروضية ، وبعض قصائده من الشعر الحر بالنظم على أسطر متفاوتة الطول وتنويع القوافي وحروف الروي وتقل القافية المرسلة المطلقة ، ويستخدم غالبا القافية المكررة بطريقة تناوبية ويعتمد على تجانس الأصوات مدا ومقاربة ومماثلة وإتباعا ، والإيقاع الداخلي يعزز الإيقاع الخارجي ، وتتسم القصائد بالاتساق والترابط الموضوعي والانسجام الذي يخلقه فعل القراءة والتقبل .

وإذا تأملنا معجم القصيدة سنجد الشاعر قد اعتمد اللغة الفصيحة بألقها واضحة موحية بعيدة عن الغموض والإغراب والتقعر اللغوي والتعقيد اللفظي . والقاموس الشعرى للشاعر يأخذ من حقل (الألم) و (الوهم) وهذا يبين لنا أن رؤية الشاعر تنحو منحى التشاؤم واليأس كثيرا ، والخطاب الشعرى يغلب عليه التقريرية لذا تبرز الحكم والمواعظ والتوجيه غالبة على هذا الخطاب ، وتركيبيا، يكثر الشاعر من الجمل والمركبات الفعلية وذلك على حساب الجمل الاسمية ،

(١) ديوانه (من وحى القلب) المقاطع من قصيدة (من وحى الستين) ص ٦ ، ٧

ومن هنا يطغى الفعل الحدثي والتوتر الدرامي . ويزاوج الشاعر بين الأسلوب الخبرى والإنشائى مع هيمنة الجمل الخبرية ، ومن ثم يغلب التعيين على التضمين وتطغى الصور الجزئية على الصور الكلية وصور الشاعر فى معظمها مستنسخات من صور المجاز الاستعارية القائمة على التشخيص والمشابهة ، والدوال الإحالية فى مجملها تضمينية غير موظفة في سياقات تناصية ثرية أو أقنعة موحية ودالة.

ولعل القاريء للنصوص الواردة فى الاستشهاد يقف على هذه الأحكام ، غير تقديم دراسة إحصائية هى وحدها التى تثبت ما ذهبنا إليه على وجه اليقين ولعله فى قابل نستطيع أن نقدم دراسة موسعة لنتاج الشاعر الكامل حتى يكون العمل أوفى وأشمل ، ويبقى للشاعر تامر المطيعى أنه صوت شعرى نقل لنا تجاربه الذاتية والحياتية التى تكشف عن حس رقيق ووطنية صادق ، وشاعرية متدفقة ، رحم الله شاعر بما قدم لتلاميذه وأحبابه وقرائه .

خاتمة

طوفنا معا في سياحة فنية وفكرية بين ثلاثة أعمال شعرية مختلفة ؛ بين أسيوط والسعودية لشاعر ناشئ وآخرين مثلا شيوخ الشعر والإبداع ، وحق لأصحابها أن نلقي أضواء كاشفة لإبداعاتهم وهي مهمة النقد ؛ إذ يقع على عاتق النقاد هذا الحق للمبدعين من ضرورة التعريف بإبداعاتهم وتقديم ومضات نقدية عليها ، وهذه التحليلات التي قدمتها ليست سوى رؤية شخصية لا تقدح في أعمالهم ، وللقارء الحق في قبول هذا النقد أو نقضه ، وحسبي أنني حاولت في قراءة أولى وأولية لهذه الأعمال عسى أن تتبع بقراءات أكثر جدية وموضوعية .

مع خالص تحياتي ،،،

رمضان حسانين جاد المولى